

مقدمة الكتاب

جلس يشكو إليّ في ليلة مقمرة من حال ابنه الذي ناهز العشرين عاماً..

قال لي: لست أدري ماذا أفعل معه.. لقد احترت في أمره!..

قلت له: ماذا تقصد؟ هل تشكو من انحراف ابنك بصورة من الصور؟ هل لا يصلي؟ هل لا يذاكر جيداً؟ هل يعق والديه؟.. هل لا يغض بصره؟.. أين المشكلة بالضبط؟

فأجاني وهو يقول: بانفعال شديد. على العكس من ذلك تماماً يا دكتور.. أنا أشكو أن ابني شديد الالتزام بتعاليم الدين.. كل صغيرة وكبيرة يبحث أهى حلال أم حرام.. يصلي كل الصلوات تقريباً في المسجد.. طول وقته قراءة في كتب كبيرة ومراجع ضخمة.. طول النهار يتكلم عن فلسطين والعراق والسودان والشيشان.. ("الولد" شايل هم أكبر كثير من سنه).. ونصحته.. والكلام لمن يشكو لي. أن يقلع عن هذه الأمور ويعيش حياة الشباب!! فلا مانع أن تصلي وتصوم لكن أريدك أن تلعب وتلهو و"تفرش".. مثل بقية شباب الجيل..

انصحي يا دكتور. والكلام ما زال لصديقي. ماذا أفعل معه؟

أخذت نفساً عميقاً، وقلت له بعد لحظات من التفكير: نصيحتي إليك أن تجلس إلى ابنك وتعلم منه!!.. فكم من الآباء يحتاجون إلى توجيه.. وكم من الأبناء حوت عقولهم الشابة حكمة ما استطاع آباؤهم أن يحصلوها على مدار الأعوام!..

إزداد انفعال صاحبي ولم يفهم ما أقول له.. وقال: يا دكتور، إبني هذا ما زال "شاباً".. عمره عشرون سنة فقط!!

وتركته وغرقت في أفكاري.. ترى ماذا تعني كلمة الشباب في الإسلام؟.. ما هو دور الشباب؟.. وماذا يُنتظر من جيل الشباب؟ وإلى أين يسير شباب الأمة اليوم؟ وغير ذلك من الأفكار والأسئلة.. فكان ذلك الكتاب!!

مشكلات الشباب

كنت في ندوة في أحد كليات جامعة القاهرة، وكانت الندوة بعنوان "مشكلات الشباب"، وآثرت قبل أن أبدأ بالمحاضرة أن أستطلع آراء الشباب حول كبرى المشكلات التي تواجههم، لكي لا أكون أنا في وادٍ وهم في وادٍ آخر، فطلبت من كل شاب أن يسجل في ورقة أهم مشكلة تواجهه في حياته، والتي لو حُلت لصار إنساناً سعيداً راضياً، واستجاب الشباب الحضور وسجلوا مشكلاتهم.. وبدأت استعرض ما يجول في خاطر الشباب حول أخطر وأهم قضاياهم.. وأخذت أجمع المشكلات المتشابهة، وأصنفها حسب الموضوع فكانت مفاجأة بالنسبة لي!!

لقد خلت قائمة المشكلات التي تواجه الشباب تقريباً من المشكلات التي كنت أنوي أن أتحدث عنها.. وإذا بالشباب الحضور فعلاً في وادٍ، وأنا في وادٍ آخر.. واحترت في أمري، هل أكلّمهم في المشكلات التي يهتمون بها، أم في المشكلات التي ينبغي - في رأيي - أن يهتموا بها.. فبدأت كلامي باستعراض ما ذكروه عن أحوالهم.. وكانت مشكلاتهم كالآتي:

. الخوف من البطالة بعد التخرج..

. الرغبة في الزواج مع استحالته في هذا التوقيت لضعف الإمكانيات..

. الاختلاط بين الشباب والشابات وما ينتج عنه من تحريك لشهواتهم بصورة تكاد تكون دائمة..

. عدم غض البصر..

. صعوبة المناهج الدراسية والإحساس بأنها عديمة الفائدة..

. العادة السرية !!

. الفقر وقلة ذات اليد..

. الحب من طرف واحد !!

. انتشار المخدرات ..

. التدخين ..

. وأحدهم كانت مشكلته أنه يريد أن يشتري تليفون محمول وأبوه يرفض ذلك !!

كانت هذه معظم المشكلات التي ذكرها شباب هذه الكلية المصرية، وهم - ولا شك - يمثلون شريحة من شباب مصر.. بل ومن شباب العالم الإسلامي بصفة عامة.. بل إن هذه الشريحة قد اختيرت من الصفوة في شباب الأمة.. فهم طلاب جامعيون مثقفون دارسون، بل وعندهم حرص ظاهر على حضور ندوة ذات طابع إسلامي.. فهذه شريحة مرموقة من شرائح شباب المسلمين..

ومع كون هذه الشريحة على هذه الصورة المتميزة إلا أن المشكلات التي ذكروها جاءت على خلاف ما كنت أتمنى.. ليس لأنها ليست مشكلات حقيقية، ولكن لأنها مشكلات احتلت أولوية واضحة في حياة الشباب، بينما غابت مشكلات أخرى هي أخطر بكثير. في ظني. من هذه المشكلات..

فعلى سبيل المثال خلت قائمة مشكلات الشباب من الآتي:..

. مشكلة عدم تطبيق شرع الله عز وجل في غالب الأقطار الإسلامية، والاعتماد على قوانين وتشريعات بشرية بحتة، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم..

. مشكلة احتلال كثير من الأقطار الإسلامية، واستخدام أعني أساليب القهر والبطش والتعذيب والقتل في هذه البلاد المحتلة، وعلى رأسها فلسطين والعراق وكشمير والشيشان وأفغانستان..

. مشكلة الهجوم الإعلامي الشرس على الإسلام، والسب العلني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة والعلماء على صفحات الجرائد والمجلات والإذاعات المرئية والمسموعة والإنترنت وغيره..

. مشكلة الديون المتراكمة على غالب دول العالم الإسلامي، وبصورة يكاد يكون الخروج منها مستحيلاً..

. مشكلة الفساد الإداري وعدم الشفافية والسرقات والرشاوى والاختلاس والتزوير، مما وضع العالم الإسلامي في ذيل قائمة الدول الشريفة في الأرض، حيث لم تحصل فيه إلا دولة واحدة فقط على أكثر من

خمسة من عشرة في قضايا الأخلاق الإدارية والشفافية، وهي دولة ماليزيا (حصلت على ٥،٣ من ١٠)، بينما حصلت تونس على ٥ من ١٠، ثم بعد ذلك رسبت كل دول العالم الإسلامي قاطبة في قضايا الأخلاق والأمانة !!

(مع العلم أن إسرائيل حصلت على ٦،٨ من ١٠ في قضية الأخلاق والشفافية وعدم التزوير!..)

. مشكلة التخلف العلمي والإنفاق الضئيل على قضايا التقنية والابتكار والتطوير، فأكبر دولة عربية تنفق على الابتكارات العلمية ما لا يزيد عن ٠،٦ % من الدخل القومي، بينما تنفق إسرائيل ٢،٤ % من دخلها القومي على العلوم وتطويرها..

. مشكلة عدم وصول الإسلام إلى مناطق شاسعة من الأرض، ووجود أجيال كاملة من البشر لا يسمعون أصلاً عن الإسلام، أو يسمعون عنه كل تشويه وتزوير، مع أن المفروض على أمة الإسلام أن تصل بالخير الذي عندها إلى كل إنسان على وجه الأرض..

ثم وقفة وتساؤل!

ما الفارق الرئيسي بين المشكلات التي ظهرت في استطلاع الشباب، وبين المشكلات التي ذكرتها منذ قليل ولم تظهر في هذا الاستطلاع؟!

إن المحلل لهذا التباين يجد أن هذا الفارق في الأساس هو أن مشكلات الشباب التي تشغلهم هي مشكلات فردية شخصية في المقام الأول، بينما المشكلات الأخرى هي مشكلات عامة تهم الأمة الإسلامية ككل..

ومن ثم نلاحظ أن هذه الشريحة من شباب الأمة أوضحت لنا أمراً خطيراً جداً، وهو غياب شعور الانتماء للأمة الإسلامية عند الشباب، ولم يعد الانتماء عندهم إلا للذات فقط.. وهذه علامة تنذر بخطر شديد على أمتنا، لأن حل هذه المشاكل الضخمة التي تعصف بالأمة تحتاج إلى جهود ضخمة، وتضحيات هائلة، فإذا كانت القضية قد خرجت أصلاً من أذهان الشباب، فالأمر يحتاج إلى وقفة جادة، وإلى اهتمام كبير..

والسؤال: لماذا لا يهتم الشباب المسلم بالقضايا الكبرى لأمتهم؟!

الواقع أن الشباب المسلم الآن . إلا ما رحم الله عز وجل . يعاني من بعض الأمراض الخطيرة التي تحتاج إلى علاج عاجل، واهتمام مكثف.. ومن أهم هذه الأمراض "عدم وضوح الهدف في حياته"، فهو لا يدري دوره في الحياة، وقيمه في الأرض.. لقد اضمحل الهدف عند كثير من الشباب حتى أصبح لا يعدو أن يكون مجرد سيارة أو شقة أو غير ذلك من الأمور المادية، مع العلم أنني أدرك أن هذه الأهداف ليست بالأهداف الحرام أو التافهة، ولكن ضاعت الأهداف الكبرى.. وانقلبت هذه الأهداف البسيطة من كونها وسائل لتحقيق أهداف كبرى إلى كونها أهدافاً نهائية عند معظم.. وهذه كارثة.. فكأن لسان حالهم يقول: "إن هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا!"

لقد أصبح معظم الشباب المسلم منشغلاً بالطعام والشراب والمسكن والألعاب والملذات والشهوات، ولا ينشغل بغير ذلك.. لقد أصيب معظم الشباب بسلبية عجيبة حتى كادت الأمة أن تشرف على الغرق في مستنقع هائل من المشاكل، ثم الشباب يشاهد ويتفرج ويراقب عن بعد، وكأن الأمر لا يعنيه من قريب ولا بعيد، مع علمه التام أنه سيكون من الغارقين مع الأمة، فالأمة أمته، والوطن وطنه، والدين دينه، والمستقبل مستقبله..

لقد دخل في روع الشباب أنهم ما زالوا في سن صغيرة لا تسمح لهم بالتفكير أصلاً في حل هذه المشكلات الصعبة، واعتبروا أن هذه الفترة من حياتهم لا تصلح إلا للعب واللهو والخروج والفسح، مع بعض لحظات الجدة العابرة عند امتحان أو عمل أو موقف..

والسؤال الذي يحيرني... هل ما زال الشباب فعلاً صغيراً؟!

وهل الصغير فعلاً هو الصغير في العمر؟.. أم أن الصغير حقيقة هو الصغير في الفكر وفي الفهم وفي الخلق وفي الهدف وفي الطموح؟

تعريف الطفل في الإسلام يختلف كثيراً عن تعريفات القوانين الأرضية الوضعية، وهذا الاختلاف يترتب عليه عمل كبير، فالأُمم المتحدة مثلاً تعرف الطفل بأنه الذي لم يبلغ ثمانية عشر عاماً، بينما في الإسلام يكون الطفل هو الذي لم يبلغ الحلم، أو الذي لم يصل بعد إلى سن البلوغ، أي قد ينتهي الطفل من مرحلة طفولته وهو في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره، فإذا وصل الطفل إلى سن البلوغ أصبح شاباً، وذلك بكل تبعات هذه المرحلة الجديدة التي انتقل إليها.. وأهم هذه التبعات أنه أصبح مكلفاً.. بمعنى أنه أصبح مسئولاً عن كل أفعاله وأقواله وأحلامه وأمنيته.. نعم قد لا يسأله أبوه ولا أمه ولا أستاذه ولا

مجتمعه لكونه في عيونهم ما زال صغيراً.. ولكن حتماً سيسأله ربه يوم القيامة عن كل أعماله بعد هذه السن الفاصلة، وبعد هذه المرحلة الفارقة في حياته.. نعم هو ما زال في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره، لكن الله عز وجل - والذي خلقه ويعلم إمكانياته وقدراته - سيحاسبه عن هذه الفترة حساباً مفصلاً، وذلك لأنه يعلم سبحانه وتعالى أن الشاب في هذه المرحلة يستطيع أن يفكر بعمق، وأن يعمل بجد، وأن يجتهد بصدق..

"ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير" ..

بل إن هذه الفترة من عمر الإنسان . وهي فترة الشباب . سيكون هناك سؤال خاص عنها يوم القيامة ..

روى الترمذي ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَتَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ "

من هذا الحديث يتضح قيمة فترة الشباب في حياة الإنسان، ففترة الشباب . وإن كانت فترة محدودة في العمر . إلا أن الله عز وجل قد أفرد لها سؤالاً خاصاً يوم القيامة، مع أنه لو ذكر العمر وكفى لثم المعنى، لأن العمر يشمل الشباب، لكن خص الشباب بالذكر ليلفت الانتباه إلى أن هذه الفترة لها أهمية خاصة في الحياة، كما يلفت الأنظار إلى أن الشاب . مع كونه صغيراً نسبياً . إلا أنه سيسأل يوم القيامة، وسيحاسب .

مما سبق يتبين أنه ليس من العقل أو الحكمة أن يقضي الشاب زهرة شبابه في اللهو والمرح وعدم تحمل المسؤولية، وهو لا شك سيحاسب على شبابه فيما أبلاه..

وخلاصة القول أن الله عز وجل - الذي خلق وكلف - يعلم أنه سبحانه وتعالى قد وضع في الشباب المؤهلات التي تمكنهم من أداء مهماتهم وواجباتهم على الوجه الأكمل، ومن ثم فالشباب قادر . بإذن الله . على حل مشكلاته ومشكلات الأمة..

ولكن هل هذا الكلام واقعي؟ وهل هناك نماذج حقيقية تثبت إمكانية هذا؟

ليس هذا الأمر جديداً على شباب الأمة الإسلامية، فالتغيير في واقع الأمة وفي تاريخها كثيراً ما كان على يد الشباب

وراجعوا معي التاريخ الإسلامي..

عندما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. إلى من توجه برسالته ؟

من هم الذين حملهم تبعة هذا الدين ؟

من هم الذين ائتمنهم على حمل الإسلام ؟

من هم الذين اعتمد عليهم في تغيير نظام الحياة في مكة كلية.. بل في تغيير نظام الحياة في الأرض بكاملها، وليس في زمانه فقط بل وإلى يوم القيامة ؟

من هم السابقون السابقون ؟

من هم أفضل أجيال الأرض، والذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الذي رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"

من هم الذين سيواجهون جبابرة وطغاة مكة، وطواغيت الجزيرة العربية، ثم سيدكون بعد ذلك حصون وقلاع فارس والروم، ويزلزلون عروش كسرى وقيصر ؟

من هم الذين سيسبحون ضد التيار في كل هذه البحار المشتركة ؟

من أيها الشباب !؟

راجعوا التاريخ، واقرأوا السيرة، واطلعوا على هذه النماذج :

*الزبير بن العوام رضي الله عنه..

حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفارس الإسلام، والبطل المغوار، والدعامة الثابتة للدعوة الإسلامية..

كم كان يبلغ من العمر وقت إسلامه ؟

إنه كان في الخامسة عشرة من عمره !!

أي أنه لو كان في زماننا لكان في الصف الثالث الإعدادي أو الأول الثانوي على الأكثر..

ونظرة إلى شبابنا في الإعدادية!..

هل طالب الإعدادية الآن يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل كما كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يفكر ويحلم ويتمنى ويعمل ؟

لا بد أن هناك خلل..

ولا بد من وقفة للحساب والمراجعة..

*طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه..

أحد الدعامات الرئيسية لجماعة الإسلام الناشئة في مكة، وأحد كبار الدعاة إلى الله، وأحد الفرسان المشهود لهم بالكفاءة والمهارة والشجاعة والإقدام، وأحد أعلام الإنفاق في سبيل الله، والذي أطلق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقب " طلحة الخير "

هذا الصحابي الجليل العظيم كان عند إسلامه في السادسة عشر من عمره !!

*سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه..

الصحابي العملاق.. أول من أراق دماً في الإسلام، والوحيد الذي فداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبيه وأمه، حيث قال له يوم أحد:

"ارم سعد، فذاك أبي وأمي"، وذلك فيما رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

سعد بن أبي وقاص المحاب الدعوة، والميمون النقيبة، والعظيم الأثر..

كم كان عمره عند إسلامه ؟

لقد كان في السابعة عشرة من عمره !!

*الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه..

الرجل الذي يحمل اسمه ذكريات عظيمة هائلة لكل مسلم، فهو الذي استضاف الدعوة الإسلامية في بيته . على خطورة هذا الأمر . ثلاثة عشر عاماً كاملة في مكة، مع الأخذ في الاعتبار أنه من بني مخزوم، وهي القبيلة التي تتنازع لواء الشرف مع بني هاشم، وهو يستضيف الرسول الهاشمي في بيته، ولا شك أن ذلك سيسبب له حرجاً بالغاً مع زعماء قبيلته وأقاربه، ولا ننسى أن زعيم قبيلة بني مخزوم هو أبو جهل شخصياً، وهو أعتى عتاة الإجرام والبطش في مكة، وهو فرعون هذه الأمة، ولو أدرك أن واحداً من قبيلته يستقبل في بيته الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لكانت الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، ومع كل ذلك فقد قبل الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه بهذه المخاطرة، وضحي بنفسه هذه التضحية البالغة من أجل الإسلام..

كم كان يبلغ من العمر هذا البطل العظيم عند إسلامه ؟!

لقد كان في السادسة عشرة من عمره !!

هل هذا معقول ؟!

نحن عندما نقرأ هذه الأسماء الخالدة.. الزبير وطلحة وسعد والأرقم رضي الله عنهم أجمعين، نعتقد أننا نتعامل مع رجال كبار جداً.. والواقع أننا فعلاً نتعامل مع رجال كبار جداً، ولكن ليسوا كباراً في السن، وإنما هم كبار في المقام وفي العقل وفي الجهد وفي الإيمان وفي العمل وفي الأخلاق.. هؤلاء الشباب كانوا رجالاً كباراً بمعنى الكلمة، وهم في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة أو السابعة عشرة من أعمارهم..

والسؤال:

لماذا يخلو ذهن طالب الإعدادي أو الثانوي أو حتى الجامعة من كل ما هو مفيد، ولا يبقى في ذهنه إلا بعض الأفلام الساقطة، والأغنيات الهابطة، والألعاب السخيفة ؟ لماذا يبقى الشاب ساعات وساعات أمام شاشات التلفزيون والإنترنت والفيديو جيم، ويبقى الساعات والساعات في صالات البلياردو وعلى كورنيش النيل، ولا يصرف من وقته ساعة لدين أو لعلم أو لفكر أو لرحم أو لدعوة أو لغاية نبيلة، أو مهمة جلية ؟

والأطفال أيضا !!

*علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

وما أدراك من علي بن أبي طالب رضي الله عنه !!

إنه الطفل الذي كان في العاشرة من عمره.. فقط في العاشرة !!

وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إليه بالرسالة، ويسر بها إليه!!

سبحان الله !!

إن هذا يحمل معنى هائلاً لا بد أن نقف أمامه.. وهو أن عقل هذا الطفل الصغير غير المكلف يستوعب أموراً هي من الدقة بحيث قد تخفى على عقول بعض الشيوخ.. لقد استوعب هذا الطفل فكرة الوجدانية، وفكرة النبوة والرسالة، وفكرة الوحي والملائكة، وفكرة البعث يوم القيامة، وفكرة الجنة والنار، وفكرة العمل لله، والحياة في سبيل الله، بل والموت في سبيل الله..

لقد استوعب كل ذلك وهو في العاشرة من عمره !!

وفقه هذا الطفل أيضاً في هذه السن الصغيرة سرية المرحلة، وتعلم كيف يخفي أموره عن أقرب الأقربين إليه، وكيف يتجه سراً إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، وكيف يصلي في خفاء، ويقرأ القرآن بعيداً عن أعين الناس..

إن عقل الطفل الصغير هو أوسع من تخيلاتنا بكثير..

بعض الآباء والمدرسين والمربين يشفقون على الأولاد من المعلومات المكثفة، أو من الواجبات الثقيلة، فيكتفون بحشو هذا العقل ببعض القصص التافهة وأفلام الكارتون، وألعاب الكمبيوتر، وأسماء اللاعبين والفنانين والفنانات، وهم بذلك يهدرون طاقات لا حصر لها.. ويُقلصون من إمكانيات عقلية هائلة عند الأطفال..

وليس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثلاً أوحداً للطفل النجيب في الإسلام، فالأمثلة فعلاً قد يتعذر سردها لكثرتها، فما من طفل من أطفال الصحابة إلا وله موقف ومواقف تدل على سعة إدراكه، ودقة فهمه، وجلاء بصيرته..

*زيد بن ثابت رضي الله عنه:

ترى ما هي أحلام هذا الطفل العظيم الذي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وكان لم يبلغ الحلم بعد، وكان صغير البدن، قليل البنية ؟

لكن . سبحانه الله . مع صغر سنه، وصغر بدنه إلا أنه كان مشغولاً بأمته الإسلامية انشغالاً تاماً.. لقد سمع الطفل زيد أن جيش المسلمين يستعد للخروج إلى بدر للقاء المشركين، فتحركت الحمية لهذا الدين في قلبه الصغير الحجم، الكبير القدر، فحمل سيفه، وكان السيف أطول منه !! وذهب لينضم إلى جيش المسلمين !!

هذا الطفل الصغير . غير المكلف . كان يسعى بصدق إلى الجهاد.. لقد استوعب عقله قضية الجهاد في سبيل الله، ولقاء الأعداء، ونصرة دين الله، وتحمل الآلام والجراح والمشقة في سبيل رفعة هذه الأمة وسيادتها..

ولكن الطفل الصغير الطموح فوجئ مفاجأة قاسية عند ذهابه لمكان تجمع الجيش، فقد استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غيره من المجاهدين، فوجد أنه صغير في السن والجسم فخاف عليه الهلكة، فردده ولم يقبله في الجيش..

وكانت هذه مأساة حقيقية لزيد بن ثابت رضي الله عنه !!

لقد عاد إلى أمه "النوار بنت مالك" رضي الله عنها وهو يبكي من شدة الحزن..!!

ووقفه مع الحدث..

لقد كان الالتحاق بجيش المسلمين أمنية ومطمحاً عند زيد بن ثابت وعند أطفال وشباب المسلمين رضي الله عنهم أجمعين.. لأن غاية الجيش كانت واضحة، ومهمته نبيلة، والتعامل فيه بين القائد والجنود على أساس التقوى والإسلام..

أما عندما فُرغت الجيوش من قيمتها، وضُيِّعت أهدافها، واضمحلت غاياتها، وساءت فيها معاملة القواد لجنودهم، فإن الحال تغير أقصى درجات التغيير، حتى رأينا شباب اليوم . وهو معذور . يقيم الأفراح، ويتلقى التهنئة، إذا أفلح في أخذ الإعفاء من الجيش، ولو عن طريق الكذب أو الوساطة أو الرشوة أو غير ذلك من الأمور غير المشروعة، بل قد لا يستنكر الشاب أن يذكر أمام القاضي والداني أنه قريب الضابط فلان أو الوزير فلان، وأنه قد توسط له ليُعفى من الجهاد والجنديّة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

ونعود إلى الطفل العملاق زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقد عاد إلى أمه يكي ويقول: لقد معني رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهاد..

لكن الأم العاقلة المربية الفاهمة لدينها المدركة لمواهب ابنها، قالت له: لا تحزن، تستطيع أن تخدم الإسلام بصورة أخرى، إن لم يكن بالجهاد بالسيف، فليكن بالجهاد باللسان والقلم !!

لقد لفتت الأم الداعية "النوار بنت مالك" رضي الله عنها نظر ابنها . كما لفتت أنظارنا . إلى أن مجالات العمل لله واسعة ومتشعبة، وأن إمكانيات البشر مختلفة ومتفاوتة، وأن الذي لا يستطيع أن يؤدي في مجال يستطيع أن يبدع في مجال آخر.. وكل ميسر لما خلق له..

قالت الأم الذكية لابنها المتحمس: أنت تتقن القراءة والكتابة - وهذا نادر في ذلك الزمن . وأنت تحفظ كثيراً من سور القرآن الكريم حفظاً جيداً، فلنذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنرى كيف يمكن أن نوظف هذه الطاقات لخدمة الإسلام والمسلمين..

يالروعة التفكير، وصدق الاجتهاد، وعمق النظرة !!

وذهبوا بالفعل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض الرجال من قبيلتهم، وهم جميعاً يرجون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقبل زيد بن ثابت رضي الله عنه في عمل يخدم الإسلام والمسلمين..

قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يا نبي الله، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب الله، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك، وهو فوق ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة، وهو يريد أن يتقرب بذلك إليك، وأن يلزمك، فاسمع منه إن شئت" ..

فاستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد رضي الله عنه، واكتشف مهارته وقدرته على الحفظ، وقدر قيمة المهارة التي يتقنها زيد رضي الله عنه فوق الحفظ وهي مهارة الكتابة والقراءة، ولم يستصغر سنه، أو يقلل من شأنه، بل طلب منه طلباً لا يطلب الآن إلا ممن أمضى مشواراً طويلاً في العلم والتعليم والدراسات.. لقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإني لا آمنهم على ما أقول"

لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي الله عنه بتعلم لغة أجنبية هامة في ذلك الوقت، ولأغراض سياسية هامة قد تؤثر تماماً على سير العلاقات الدبلوماسية والحربية بين أمة الإسلام واليهود.. هذا مع كون زيد بن ثابت رضي الله عنه في الثالثة عشرة من عمره!

وقد صدق حدس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن زیداً رضي الله عنه أكب على دراسة اللغة العبرية فأتقنها في وقت يسير جداً، وصار يتكلمها ويكتبها كأهلها، ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يتعلم أيضاً اللغة السريانية، وكانت من اللغات الدارجة في ذلك الزمن، فتعلمها زيد رضي الله عنه، وصار بذلك ترجمان الدولة الإسلامية، والشريك الدائم في أي مفاوضات أو مراسلات بين القبائل الأجنبية والدولة الإسلامية..

كل هذا وهو في الثالثة عشرة من عمره !!

هل رأيتم إمكانات الشباب ؟!

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اطمأن إلى إتقانه أكثر وأكثر، فأمنه على ما هو أخطر من المراسلات والعلاقات الدبلوماسية، لقد أمنه صلى الله عليه وسلم على وحي السماء، فطلب منه أن يكتب القرآن، فكان إذا نزلت عليه مجموعة من الآيات طلب زیداً رضي الله عنه، وقال له: يا زيد، اكتب، فيكتب زيد رضي الله عنه، فصار بذلك من كتبة الوحي..

ومرت الأيام، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشعر المسلمون بالمأزق الخطير الذي قد يتعرضون له إذا فقدوا آية أو آيات من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم لم يكن مجموعاً في كتاب واحد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُخشى على الأجيال القادمة أن تفقد جزءاً من القرآن، أو على الأقل تفقد ترتيبه، وهنا أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن في كتاب واحد، وبعد مناقشات ومحاورات قبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الفكرة، ولكن تبقى مشكلة خطيرة، فعلى أكتاف من ستلقى هذه التبعة الضخمة، ولم يجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل من زيد بن ثابت رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة الخطيرة جداً، فهو إلى جانب كونه يتقن القراءة والكتابة، فهو كان من كتبة الوحي، ويعلم دقائقه، ومتى نزلت الآيات، وكيف نزلت، ولأي سبب نزلت، وترتيب نزولها، وكيفية جمعها مع الآيات السابقة واللاحقة..

وهكذا كلف زيد بن ثابت بهذه المهمة الشاقة جداً، مع كونه وقت جمع القرآن كان في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين فقط من عمره، أي أنه لو كان في زماننا فإنه لن يكون قد انتهى بعد من دراسته الجامعية، ومع ذلك فقد وضعت على أكتافه مهمة لا توضع إلا على أكتاف الأساتذة والمعلمين البارعين المتميزين، وهذا في وجود العدد الضخم من شيوخ الصحابة والسابقين إلى الإسلام.. ولكنه قُدم عليهم جميعاً بكفاءته ومهارته وقدراته الهائلة مع كونه شاباً صغيراً..

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه:..

"والله، لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن"

ومع ذلك نجح الشاب الصغير زيد بن ثابت رضي الله عنه في المهمة الجليلة التي تحتاج جيلاً كاملاً من العلماء..

وحقاً.. ما أعظم إمكانيات الشباب!!..

يحزن المرء كثيراً عندما يشاهد كثيراً من الشباب لا يتنافسون إلا في مجالات التشجيع لفريق كروي، والتعصب لأحد الأندية !! وليت التنافس يكون شريفاً، بل يصل كثيراً إلى التصارع والتشاحن والبغضاء والتراشق بالألفاظ ثم بالحجارة !! وليت الشباب يتنافسون عن طريق ممارسة الرياضة، بل يتنافسون فقط في مشاهدة الرياضة، وليتهم يتنافسون في أوقات فراغهم، بل تضيع منهم أولوياتهم الواحدة تلو الأخرى !!

لينظر شباب الأمة إلى هذه الأمثلة الرائعة للشباب التي ذكرنا بعضها ليعلموا أن طاقات الشباب أوسع بكثير من تخيلاتهم، وأن أحلام وأهداف الشباب يجب أن تكون على مثل هذا المستوى الراقى في التفكير..

***أسامة بن زيد رضي الله عنهما:**

من أروع أمثلة الشباب في التاريخ ..

وكلنا يحفظ له الموقف الجلل عند توليته على جيش المسلمين الخارج لحرب الرومان، لكن قبل الحديث عن هذا الموقف العظيم نذكر أن هذا ليس أول وجود للبطل الصغير، وليس أول ظهور لاسمه في التاريخ..

فقد اشترك رضي الله عنه في غزوات كثيرة قبل هذه المرة، وكان له وجود ملموس وأثر واضح..

من ذلك مثلاً سرية غالب بن عبد الله رضي الله عنه في السنة السابعة من الهجرة وكان يبلغ من العمر وقتها أربعة عشر عاماً! وأيضاً فتح مكة وحنين وغير ذلك

لقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما شخصية معتبرة جداً، ومؤثرة جداً، ولها قيمتها.. لدرجة أن الصحابة إذا أرادوا شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهابوا أن يكلموه، ذهبوا إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وطلبوا منه أن يكلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر الذي يريدون، وذلك مع صغر سنه، فلم يكن يزيد في هذه الشفاعات بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين الصحابة على خمسة عشر عاماً..

بل هناك ما هو أهم من ذلك وأعظم..

فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما مشاركاً في غزوة المريسيع في السنة الخامسة من الهجرة، وهي الغزوة التي شهدت حادث الإفك، وطعن الطاعنون في السيدة الشريفة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ولم ينزل الوحي مباشرة، وإنما تأخر شهراً كاملاً، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في موقف صعب، وأراد أن يستشير بعض أصحابه فيما يجب أن يفعله في هذا المأزق الخطير.. فمن استشار؟! تخيلوا أنه أرسل إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما، الذي كان في ذلك الوقت في الثانية عشرة فقط من عمره!...

هذه- والله- من أعظم مناقب أسامة بن زيد رضي الله عنهما..

ثم كان القرار العجيب الذي أمتعنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، وهو تولية هذا الشاب الصغير أسامة بن زيد رضي الله عنهما - وكان يبلغ آنذاك بالكاد ثمانية عشر عاماً- على قيادة الجيش الإسلامي الضخم المتجه إلى حرب الرومان في الشام.. ولم يرأس في هذا الجيش مجموعة من الغلمان والصبيان، أو مجموعة من البسطاء الذين ليس لهم في أمور القتال، وإنما يرأس مجموعة من أعظم العمالقة.. في الفروسية، وفي التخطيط العسكري، وفي الإيمان، وفي السبق إلى الإسلام، وفي الخبرة، وفي الصلبة، وفي المكانة..

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يوضح لنا إمكانيات الشباب وطاقاتهم.. فهذا هو الشاب الصغير الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة يستطيع بجدارة أن يقود هذا الجيش الهائل بمن فيه من القادة والزعماء والأبطال..

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يرسخ فينا أسلوب التورث للخبرة، والتدريب للجيل الناشئ.. ولو ظل القائد الكبير قائداً طيلة حياته دون أن يسمح بظهور الطاقات الصغيرة إلى جواره فإن هذا يقود الأمة- لا شك- إلى الهلكة والاضمحلال.. لكن تربية الشباب على القيادة والريادة والإدارة منذ صغر سنه يعطي الأمة أعماراً فوق عمرها.. ويرسخ أقدامها بين غيرها من الأمم.. إنها ليست حاضراً فقط.. بل هي المستقبل أيضاً..

ولابد أن نأخذ في الاعتبار في هذا الموقف أن الجيش الإسلامي الذي يرأسه أسامة بن زيد رضي الله عنهما لا يخرج في مهمة استطلاعية، أو مهمة تدريبية، أو مهمة بسيطة أمر النصر فيها محسوم.. إن هذا الجيش يذهب ليقابل أعنى جيوش الأرض في ذلك الزمان.. إنه جيش الإمبراطورية الرومانية العظمى.. الجيش صاحب التاريخ الطويل، والانتصارات المجيدة.. ولابد أن نلاحظ هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم

عندما ولى أسامة بن زيد رضي الله عنهما لم يكن - بأي حال من الأحوال - يلقي بجيش المسلمين إلى التهلكة، إنما كان يعلم تمام العلم أن هذا الشاب يستطيع بكفاءة أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة، وأصر على ولايته حتى بعد أن أبدى بعض الصحابة اعتراضهم واستغرابهم

هذا الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي لم يبلغ ثمانية عشر عاماً كان قد استكمل في سنوات عمره المعدودة فنون الفروسية والقتال والقيادة والإدارة والفقه والعلم، بحيث أصبح قادراً على أداء هذه المهمة الخطيرة..

مع العلم يا شباب الأمة أن هذا الشاب العظيم لم يكن يتمتع بما يحلم به كثير من شباب اليوم من وضع اجتماعي معين، أو شكل وسيم، أو لباس فخم أنيق..

لقد كان هذا الشاب رجلاً بسيطاً جداً، وهو ابن لرجل بسيط كذلك، هو زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبوه ممن يباع ويشترى، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. كما أن أسامة رضي الله عنه لم يكن شاباً وسيماً جميلاً.. بل على العكس تماماً.. وهذا ليثبت للشباب في كل الأمة أن المقومات الحقيقية لنجاح الشاب تكمن أساساً في دين الشاب وفي عقله وعلمه وكفاءته وتدريبه، ولا تكمن أبداً في عرق أو عنصر أو نسب أو مال أو جمال صورة..

ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه كلمة هي فخر لكل الشباب المسلم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَلَيْسَ اللَّهُ إِنْ كَانَ حَلِيفًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ"

ألا ما أعظم الشباب إذا فقهوا دورهم..

وألا ما أعظم الأمة إن أخذ الشباب فيها وضعهم الحقيقي، ومكانتهم التي تتناسب مع طاقاتهم وقدراهم..

ولنا في أسامة عبرة..

ووددت لو ذكرت لكم تفصيلاً عن الشباب في دولة الإسلام.. ولكن هذا حديث يطول جداً..
وليس من غرض هذه الرسالة الحصر والاستقصاء.. ولكن فقط ضرب الأمثلة.. وراجعوا إن أردتم سير
الشباب العظماء في أمة الإسلام أمثال مصعب بن عمير وسمرة بن جندب وجعفر بن أبي طالب وأسعد بن
زرارة ومعاذ بن جبل وسعد بن معاذ وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن
عمرو بن العاص والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وغيرهم وغيرهم.. رضي الله عنهم جميعاً، وأكثر الله
من أمثالهم..

وليس هذا العدد في جيل الصحابة فقط.. بل أيضاً في كل مراحل التاريخ الإسلامي.. وراجعوا إن
شئتم شباب الإسلام أمثال أبي إدريس الخولاني ومحمد القاسم والبخاري والنووي وصالح الدين وقطر ومحمد
الفتاح وعبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الناصر وغيرهم..

وأمة الإسلام لا ينضب معينها أبداً..

ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين..

نحن نسمع كثيراً بهذه الأسماء.. لكن هل خطر في بالكم يوماً أنها أسماء لشباب؟ عن نفسي أبداً.. لم أكن
أتخيلهم إلا رجالاً كباراً!!!

لماذا هذا التباين ؟!

لابد أن نقف وقفة جادة ونتساءل بصراحة :

لماذا هذا التباين الرهيب بين ما عليه شباب الأمة الآن، وبين ما ينبغي أن يكونوا عليه ؟

بين إمكانيات الشباب وطاقاتهم، وبين الإنتاج الهزيل الذي يخرج من معظمهم ؟

بين تاريخ الأمة وبين واقعها ؟

من المؤكد أن الخطأ لم ينبع من الشباب وحدهم.. لكن الخطأ خطأ مركب..

والأسباب فيما يبدو لي كثيرة، وتحتاج إلى دراسات وأبحاث، وتحتاج أيضاً إلى تفريغ جهود وطاقات للإصلاح، وإلا فالكارثة كبرى، والمصيبة عظمى.. فيالتعاسة أمة ضاع شبابها!..

وهنا أعرض لطرف من الأسباب على عجلة، ويحتاج المخلصون إلى وضع سياسة واضحة لمعالجة هذه الأسباب وغيرها..

السبب الأول

غياب التربية الإسلامية الواعية

الإسلام هو الذي صنع هؤلاء الأبطال والعظماء، وهو الذي فجر هذه الطاقات المهيولة

ولكن ظلت أمتنا لعقود متتالية في زماننا الذي نعيشه الآن تربي شبابها على عشرات المناهج إلا المنهج الإسلامي.. فافتقدت الأمة بذلك سر نجاحها، وضلت طريقها إلى الهدى والصالح.. وعاشت الأمة معيشة الضنك والبؤس..

" ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً " ..

لم تحرص التربية على زرع قيمة مراقبة الله عز وجل في شباب الأمة، بل دائماً كان الشباب يراقبون المرئي والأب والأستاذ والحاكم والشرطي.. فإذا غاب هؤلاء أطلق الشباب العنان لشهواتهم، وبالغوا في أخطائهم، واستخدموا طاقاتهم وإمكاناتهم في هدم ما يستطيعون هدمه من أركان الأمة بدلاً من بنائها..

لقد افتقد الشباب نتيجة هذه التربية الإحساس بالانتماء إلى كتاب الله عز وجل، وإلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبدلاً من أن يصبح الدين منهجاً للحياة، تحول الدين إلى مجرد حصة مهمة تدرس فيها بعض القواعد النظرية، وقد تستغل في تدريس بعض الفصول المتأخرة من دروس اللغة العربية أو غيرها..

لقد زُرِع في الشباب الانتماء إلى أشياء كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان.. وما عادوا يشعرون بالانتماء الحقيقي إلى أمتهم الإسلامية الشاخصة الكبيرة.. فهؤلاء ينتمون إلى قومية عربية فصلتهم عن إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من غير العرب، وهؤلاء ينتمون إلى قومية فرعونية أو بابلية أو فينيقية أو فارسية أو تركية عزلت الأمة تماماً عن دينها، وجعلت فخارها أن تنتمي إلى مجموعة من الملحددين والكفار.. وإلا فخبروني بالله عليكم كيف يتفاعل الشباب مع شخصية مثل شخصية فرعون؟!.. لقد حدث فصام في شخصية شباب المسلمين.. فهو يفتح كتاب الله عز وجل أحياناً ليجد في كل صفحة من صفحاته لعنة على فرعون وجنده وقومه، ثم هو ينظر إلى واقع حياته فيجد تعظيماً وتفضيلاً وتكريماً لهذا اللعين الذي صرح ربنا في كتابه بلعنته عشرات ومئات المرات..

من يصدق ومن يتبع؟!

لقد فُرِغت مناهج التعليم والدراسة من مراحل الحضانة وإلى الكليات المتخصصة من معنى الولاء لرب العالمين، والاعتزاز بالدين، والفخر بأركانه، والزهو برموزه.. لقد نزع آيات الجهاد نزعاً، وحطمت المعاني النبيلة تحطيماً..

هل هناك في مناهجنا الآن من يدعو الشباب إلى الإحساس بقيمة الآخرة، وبأهمية السؤال والحساب يوم القيامة؟ هل هناك من يقول للشباب أنقنوا عملكم، واهتموا بدراساتكم لأن الله عز وجل يراقبكم ويجازيكم على عملكم وجهدكم، أم أنهم يقولون لهم ذاكروا جيداً لأن هناك امتحان من ينجح فيه يحصل على عمل في الدنيا، وينال أجراً مادياً أعلى، وفرصته أكبر من أخيه لامتلاك شقة أو سيارة أو وظيفة!..

شتان يا شباب الإسلام بين من يعمل للأخرة وبين من يعمل للدنيا!..

وليس معنى هذا أن نربي الشباب على اعتزال الدنيا، أو على ترك التعليم والاكْتساب، إنما الغرض هو تعديل النوايا، وتصحيح المسار.. فتصبح مذاكرته حسنات، وعلومه حسنات، وأخلاقه حسنات، ومعاملاته حسنات، وعمله حسنات، واكتسابه حسنات.. وهكذا..

ما نريده هو أن يشعر الشاب أن الرقيب عليه هو رب العالمين سبحانه وتعالى.. وهو رقيب حي لا يموت، دائم لا ينقطع، عليم لا تخفى عليه خافية.. فيشعر الشاب بالهيبه من مراقبته، وبالأمل في إرضائه.. فينصلح ظاهره وباطنه، وتقوى عزيمته على العمل الدؤوب دون كلل أو ملل..

والتربية الإسلامية الواعية ليست مهمة هيئة معينة أو جهة دون جهة.. إنما هي مهمة أمة بكاملها.. فهي مهمة الحاكم والمحكوم، والوزارة والشعب، والبيت والمدرسة، والجهات الحكومية الرسمية والجهات الخيرية التطوعية.. هي مهمة كل من في قلبه إخلاص لله رب العالمين، وكل من في قلبه حمية لهذه الأمة، ورغبة صادقة في رفعها وعزتها..

وليس معنى أن هناك من يقصر في مهمته أن يقصر الآخرون كذلك.. فإذا كانت المناهج الدراسية تفرغ عمداً من المعاني الإسلامية، ومن الروح الدينية الواضحة فإن هذا ليس مبرراً للدعاة أو للآباء أو للمربين أن يتركوا هذه التربية الإسلامية القويمة.. فعلى كل أب وأم وداعية وشيخ وأستاذ وأخ كبير وجار مخلص أن يزرع معاني مراقبة رب العالمين وحب الدين والاشتياق إلى الجنة والخوف من النار في قلوب الشباب الذين يربون.. مع لفت الأنظار بشدة إلى أن تربية الشباب على هذه المعاني لا ينبغي أن تبدأ من سن المراهقة، ولكن قبل ذلك بكثير.. من مراحل الأولى تماماً في الحياة.. بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نؤذن في أذن الرضيع اليمنى، ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى، إيداناً بأن هذا سيكون منهج حياته وتربيته منذ لحظاته الأولى في هذه الحياة.. وتستمر هذه التربية الإسلامية في كل مراحل حياته، الطفولية منها والشبابية، حتى يصبح رجلاً أو فتاة تشبع تماماً بالإسلام، ولا يخطو خطوة في حياته - صغيرة كانت أو كبيرة - إلا ويسأل نفسه ألف مرة : أهذا يرضي ربي، أم هو علي سخط ؟

كما يجب الإشارة هنا إلى شئ في غاية الأهمية!

وهو أنني لا أعفي الشباب من المسؤولية أبداً!..

فمع كون أن المعوقات كثيرة، والصعوبات متعددة، إلا أن الشاب في النهاية هو الذي سيسأل يوم القيامة.. ولا يستقيم لشاب عاقل أن يسير في حياته على منهج: "عليّ وعلى أعدائي!!!"

فليس معنى أن الكل يخطئون في حقه أن يكون هذا مبرراً له أن يضيع!..

وليس معنى أن أهل الأرض جميعاً يريدون معصية رب العالمين أن يكون هذا سبباً كافياً له أن يعصي هو الآخر!..

لابد أن يقف الشاب مع نفسه وقفة ويتساءل :

لماذا خلقتني الله عز وجل ؟

القضية ليست هامشية في حياتك، أو ثانوية في تفكيرك..

القضية قضية عمرك.. وعلى ضوء فقهك لهذه القضية ستكون حياتك وستكون آخرتك..

ملايين الشباب لا يسألون أنفسهم هذا السؤال، ومن ثم يضيعون..

لابد أن هناك غاية للخلق..

" أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً، وأنكم إلينا لا ترجعون "

لماذا خلقنا الله عز وجل؟

هل خلقنا الله عز وجل للمتعة والسهر والانبساط ؟

هل خلقنا الله عز وجل لجمع المال وكنز الثروات ؟

إن هذه الغايات لا تصلح بالمرّة لخلق حكيم من خالق حكيم..

إنما خلقنا الله عز وجل لغاية واضحة ذكرها سبحانه وتعالى تصريحاً في كتابه..

قال تعالى: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "

بدون تحقيق هذه الغاية تصبح حياتك عبثاً لا قيمة لها..

ولكن ما هو مفهوم العبادة؟!

العبادة الحقيقية هي تمام الانقياد لله عز وجل مع تمام الحب له..

في العقائد والشعائر والأخلاق والمعاملات.. في الشباب والهرم.. وفي الصحة والمرض.. وفي الحرب والسلام، وفي السفر والحضر.. في كل صغيرة وكبيرة في الحياة..

وليس كما يعتقد كثير من المسلمين، وكما حاول المغرضون أن يفهمونا سنوات طوال أن العبادة هي الصلاة الصوم والزكاة والحج والذكر فقط..

فنظن أن المكان الوحيد الذي يصلح للعبادة هو المسجد أو البيت.. أما باقي الحياة فهي لك، تفعل فيها ما تشاء، لا ما يشاء رب العالمين!!..

أهذا منطق مقبول يا شباب أمة الإسلام؟!

سيحاسب كل إنسان على مثقال الذرة..

"فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"

لن تُترك صغيرة ولا كبيرة إلا وستسأل عنها..

"مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"

ومن ثم فإني أفهم العبادة الحقيقية لله عز وجل في ضوء قول الله عز وجل:

"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"

أي أن كل شيء في حياتنا هو لله عز وجل، ويظل الإنسان على هذه الصورة إلى أن يصبح الموت في سبيل الله كذلك..

الصلاة والصيام في سبيل الله.. والعمل والوظيفة في سبيل الله.. والمال والثروة والاكسباب والرزق في سبيل الله.. والعلاقات كلها في سبيل الله.. والمعاملات مع الأبناء والآباء والمعلمين والرؤساء والجيران والرحم ومن أعرف ومن لا أعرف هي في سبيل الله.. حتى الترفيه والراحة والمتعة يكون أيضاً في سبيل الله..

والكل محاسب يوم القيامة.. والمسؤولية فردية في المقام الأول.. فلن يحاسب إنسان على أعمال الآخرين، ولن يحاسب غيرك على عملك..

يقول تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة"

ولن يأتي واحد معك يوم القيامة يبرر لك أفعالك في طاعة أو معصية..

يقول تعالى: "ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة"..

فكل دقيقة تضع من حياتك دون مراقبة لله فيها هي محسوبة عليك أنت لا على غيرك.. ولن يحمل عنك أبوك أو مدرسك أو وزير التعليم أو رئيس البلاد أو القريب أو البعيد شيئاً..

"وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء، إنهم لكاذبون"..

دعاة الإباحية والمجون والفساد لن يحملوا عن أولئك الذين وقعوا في فسادهم، وفتنوا بإباحيتهم ومجونهم.. لن يحملوا عنهم مثقال ذرة.. بل الكل سيحاسب.. فقد أعطاك الله عز وجل عقلاً وإرادة وقوة، ووضح لك طريق الصلاح وطرق الفساد.. قال تعالى: "وهديناه النجدين"

ثم كلمة هامة يا شباب أمة الإسلام..

إذا انقضت سنوات شبابك وأنت بعيد عن طريق الله.. ثم هداك الله إلى الطريق القويم بعد انتهاء فترة الشباب.. فمن يعيد لك هذه الفترة الذهبية في حياتك ؟

روى الحاكم في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"

والحديث رائع.. وهو من جوامع الكلم.. وكلنا يحتاج إلى فقهه وتدبره..

ثم أن الموت يأتي بغتة.. والكل يدرك ذلك..

الشيخ الكبير يموت، كما أن الشاب يموت، والمريض يموت، كما أن الصحيح يموت..

ولا يفيد الندم في هذه الحالة.

يا شباب أمة الإسلام..

"استجيبيوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله، ما لكم من ملجأ يومئذ، وما لكم من نكير" ..

السبب الثاني

غياب القدوة الصالحة

المربي الذي يخالف فعله قوله واهم في اعتقاده أنه يربي.. بل هو يهدم، وإن كانت كلماته هي كلمات البناء..

"كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" ..

كيف يمكن للأب أن يأمر أولاده بعدم التدخين مثلاً والسيجارة لا تفارق يده، أو كيف يأمره بحسن معاملة الجار وهو في شجار دائم مع جيرانه، أو بحفظ اللسان وهو يتناول كل قادة السيارات حوله بالشباب والشتائم، أو بالحلم وهو غضبان، أو بالكرم وهو شحيح؟! كيف؟! ..

كيف يمكن للمدرس في المدرسة أن يزرع في تلاميذه الرحمة وهو يستنزف أموالهم في الدروس الخصوصية بينما لا يعطي لدروس المدرسة أو الجامعة حقها؟! وكيف يمكن له أن يربي تلامذته على الحرص على المال العام والأمانة في العمل وهو لا ينضبط في دروسه، بل ويترك بعضها، ويهمل في أخرى، وينام في الثالثة، ويلعب في رابعة؟! ..

كيف يمكن لحاكم أو شرطي أن يأمر الشباب بعدم العنف وترك الإرهاب بينما هو يتعامل بكل قسوة وعنف وبطش وإرهاب مع عموم الشعب ؟!

ومن هو بديل القدوة عند الشباب الآن ؟!

بعض الشباب يتخذ قدوته فناناً ماجناً أو لاعباً قد يكون غير مسلم أصلاً، ويصبح حلم حياة الشاب، وهدف عمره أن يصبح مثله، أو حتى يحصل على توقيع منه!!

بعض الشباب يتخذ قدوته مليونيراً فاسداً سرق أموال البلاد والعباد، أو مسئولاً مرتشياً تسلق على أكتاف الشعب إلى درجات عالية ما يستحق معشارها..

بعض الشباب يتخذ قدوته زعيماً ماركسياً، أو قائداً ملحداً، أو أديباً فاسقاً..

بعضهم قدوته من الشيوعيين أو النصارى أو اليهود أو الهندوس أو بغير ملة !!

ادخلوا إلى حرم الجامعة، وخذوا عينة عشوائية وأسألوهم: من قدوتك ؟!

من الصعب أن تسأل شاباً يسير برفقة فتاة لا يحل له أن يختلط بها ثم يقول لك قدوتي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم!.. ومن الصعب كذلك أن يقول هذه الإجابة من يمسك بيده سيجارة أو من يلقي بالنكات الماخنة ليضحك هذا وذاك..

ثم إنني مرة أخرى لا أعفى الشباب من المسؤولية !!

فالرسول صلى الله عليه وسلم كقدوة ليس بعيداً عنا.. والله عز وجل قد حفظ لنا سنته وطريقته ومنهاجه، والله عز وجل قد يسر لنا من الدعاة والمربين من يتحدث عنه، ويصف أفعاله، ويشرح طريقته.. نعم كثيراً ما يُضيق عليهم، ولكنهم – بفضل الله – ما زالوا يتكلمون.. في كل مكان ستجد من يتكلم ويعلم.. لكن المهم في المقام الأول أن يريد الشاب أن يتعلم..

كما أن الواقع الذي نعيشه ليس خالياً من القدوات.. والرموز الطيبة التي جمعت بين التمسك بالإسلام في العبادات والشعائر وبين الحياة بالإسلام في كل صغيرة وكبيرة في كل بلاد المسلمين، وفي كل

مجالات الحياة.. في الدعوة والشريعة، وفي الطب والهندسة، وفي الكيمياء والفلك، وفي الزراعة والصناعة، وفي التجارة والإقتصاد، وفي الكبار والصغار، وفي الرجال والنساء، وفي المتعلمين وغير المتعلمين..

ليس المهم في القدوة هو المنصب والمظهر والمكانة الاجتماعية والوضع الاقتصادي والبريق الإعلامي إنما المهم حقيقة هو الدين والخلق والعمل والجدية..

فيا شباب الإسلام لا تسيروا دون إرادة ولا تفكير وراء أي قدوة.. فقدوتك لا تحدد فقط مصيرك في دنياك.. بل تؤثر . وبصورة أكبر . على آخرتك، وأسأل الله لنا جميعاً الهداية والرشاد..

السبب الثالث: الإحباط

الشباب يعاني من إحباط مقيت يقعد عن أي عمل، ويهبط من أي معنويات، والسبب هو واقع الأمة الإسلامية الذي يراه الشاب أمامه، فهناك حالة واضحة جليلة من التردّي في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعسكرية.. بل وللأسف الشديد.. الأخلاقية !! والفجوة التي بيننا وبين الشرق والغرب تزداد اتساعاً، وتاريخنا الذي زور قبل ذلك بعناية حرم الشباب من كل أمثلة القيام والنهضة، فما عاد الشاب يجد في تاريخه إلا كل سقوط وفتنة وهزيمة ومصيبة..

وفوق ذلك هناك الاحتلال فلم تعد القضية قضية فلسطين فقط، بل انضمت إليها العراق وأفغانستان والشيشان وكشمير وكوسفو والتركستان والسودان.. عدا عن أنن البلاد المحررة ليست محررة حقيقة!! ثم هناك الاستبداد السياسي، والقهر الحكومي، وغياب الشورى أو الديمقراطية، وتزييف الإرادات، وتزوير الرغبات، والفساد الإداري والسياسي، والرشوة والوساطة، والعمالة والخيانة.. كل هذه التداعيات المرة خلقت جيلاً محبطاً، ونفسية محطمة..

فأين السبيل ؟!

على كل مرٍٍ أو داعية، أن يعلم أن النجاح والفلاح لا يمكن أن يأتي من جيل محبط..

الأمة المحبطة أمة لا تقوم..

هذه حقيقة لا تنكر..

يقول تعالى: "قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون"

مهما كانت الأحداث، ومهما تعقدت الأمور.. فلا تحبطوا ولا تقعدوا ولا تفتروا ولا تيأسوا..

أدركوا أن الله سنناً لا تتبدل ولا تتغير..

منها " إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس"..

فكما تعاني أمة الإسلام من القرح اليوم فقد كان هناك زمان عانى فيه الآخرون بينما كانت أمة الإسلام في سلامة وعافية وستأتي أيام أخرى لا محالة تعود فيها الدولة للمسلمين..

أدركوا أن لهذه الأمة طبيعة فريدة تميزها عن غيرها من الأمم.. وهي إنها أمة لا تموت.. نعم قد تضعف فترة من الفترات، لكنها أبداً لا تموت.. فهذه الأمة تحمل الكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه..

أدركوا أن المعركة ليست في حقيقتها بين طائفة من المؤمنين وطائفة من الكافرين.. إنما المعركة في حقيقتها بين الله عز وجل وبين من مرق عن شرعه ودينه من عباده الضعفاء..

"ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين"..

أدركوا أيضاً إننا ما سقطنا في تاريخنا إلا وكان لنا قيام..

سقوطنا في فتنه الردة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من واقعنا الآن، ثم قمنا في عافية وسلامة، وأعدنا الشرع من جديد ليحكم، بل وكسرنا شوكتي فارس والروم..

سقوطنا في مستنقع الصليبيين في الشام وفلسطين كان سقوطاً مريعاً.. ثم قمنا من جديد.. فظهر عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، ورأينا راية الإسلام ترفع من جديد..

سقوطنا في الأندلس كان سقوطاً عصبياً.. لكنه لم يحدث إلا وقد قمنا في شرق أوروبا تحت راية العثمانيين المجاهدين، نفتح القسطنطينية، وندخل بالإسلام في أعني معاقل النصرانية..

والله يا شباب الإسلام ما سقطنا إلا وكان لنا قيام.. فلا تيأسوا..

السبب الرابع: الإعلام

ودور الإعلام خطير جداً.. وإذا كانت التربية هي أحد جناحين هامين لتغيير فكر الإنسان، فإن الإعلام هو الجناح الآخر..

الإعلام ييثر رسائل موجهة إلى الأمة عموماً وإلى الشباب خصوصاً تؤثر فيهم أشد التأثير.. وليس ما أقصده هو الإعلام الغربي أو الشرقي أو المعادي فقط، وإنما الإعلام في بلادنا المسلمة..

ويا لكارثة الإعلام في بلادنا !!

هناك كوادر ضخمة، وأموال هائلة تنفق لا لشيء وإنما لتأجيج الشهوة، وإثارة الفتنة، وإفشاء الرذيلة..

فهذا فريق يعمل على نشر الإباحية والمجون، وهدم كل القيم الأخلاقية للمجتمع، وهذا فريق آخر يعمل على السخرية من الإسلام والمسلمين والمليزمين، ويصف الملمسكين بالدين على أنهم من الإرهابيين الأصوليين الذين يسعون في الأرض فساداً، وييثر في كل قلوب المشاهدين الرعب من كل مسلم ملتزم، وهذا فريق يصور لنا الإسلام على أنه دين سلام فقط، وليس فيه جهاد ولا قتال ولا حمية ولا عزة، ولو انتهكت كل حرمة، ولو سلبت كل الحقوق..

وهذا فريق يزور التاريخ الإسلامي ويبرزه على أنه عبارة عن مجموعة متراكمة من الفتن والكوارث، وأن العالم الإسلامي عالم لقيط ليس في تاريخه ما يفتخر به، اللهم سنة هنا وسنة هناك.. وإذا أرادوا أن يمدحوا في شخصية إسلامية في جانب طعنوا فيها في جانب آخر، وإذا عظموا قائداً أساءوا إلى عشرة وهكذا..

وهذا فريق يعظم من الغرب، ويفخم من إمكانياته، ويرغب المسلمين في موالاته تحت أي صورة من الصور..

وهذا فريق يُجمل كل فعل لزعيم، وينافق قدر ما يستطيع، وفوق ما يستطيع، ليظل الوضع كما هو عليه، ويرضى الناس بما لا يمكن في الأمور العادية أن يرضوا به.. وهكذا..

ولكن مع كل هذا الكيد والتدبير إلا أن الشباب . ومن يربي الشباب . يجب ألا يقع في كل هذه الشراك والفخاخ..

على الشباب الصادق أن يعتصم بالله عز وجل وبكتابه، ويهجر هذه الوسائل المفسدة، بل ويقاومها، فلا مانع من إرسال الرسائل تلو الرسائل لمكافحة هذه المصادر، ولا مانع من إنشاء المجالات المحلية الصغيرة، والمطويات التي تعرض فكراً سليماً يوضح للشباب الحقيقة دون تزييف أو تضليل.. ولا مانع من استغلال الإنترنت والذي أصبح متاحاً بصورة كبيرة، ويصل إلى قطاعات كبيرة من الشباب.. ثم إنه لا مانع للإقتصاديين الإسلاميين أن يسعوا إلى إنشاء جرائد إسلامية وقنوات فضائية إسلامية لمقاومة هذا المد الإباحي الجارف، ولا اعتقد أن أمة الإسلام تفتقر إلى المال الذي يمكنها من ذلك..

ومن المؤكد أن الذي يقع في المعصية لن يبرر ذلك يوم القيامة بأن المعصية كانت متاحة وسهلة، ولذلك عصي !!

نصائح عملية للشباب

إذا كنتم جادين في الرغبة أن تنجحوا في الدنيا وفي الآخرة، فلا بد أن تتحول هذه الرغبة إلى عزيمة صادقة، ثم إلى عمل دؤوب، ثم إلى مداومة على هذا العمل..

ليس الطريق معبداً لمن سار فيه كسلاناً.. إنما هو يسير على من يسره الله عليه.. إذا أردتم الرفعة لأمتكم، وإذا أردتم لها أن تستعيد مكانتها المرموقة التي طالما احتلتها،

فلا تسوفوا ولا تؤجلوا ولا تتعللوا بمعوق من المعوقات..

ابدءوا الآن.. وسيفتح الله لكم أبواب رحمته..

وإني ذاكر لكم الآن عشر نصائح سريعة.. وأعلم أن كل واحدة منها تحتاج إلى كتاب خاص، وإلى شرح مفصل، ولكنها مجرد رؤوس أقلام، والمجال أمامكم مفتوح للإبداع والابتكار..

النصيحة الأولى: أقلع عن المعصية فوراً

إن المعاصي أخطر على الإنسان من الذناب المفترسة، فهي تتراكم على القلب حتى تعزله عن كل المؤثرات الإيجابية الخارجية، فإذا استمع إلى نصيحة لا يُنصح، وإذا قرأ موعظة لا يتعظ، بل إذا تلا قرآناً لا يخشع، وإذا شاهد موقفاً مؤثراً نظر إليه وكأنه لا يبصر..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)"

وترك المعاصي . يا شباب الأمة . مقدم على فعل فضائل الأعمال .. فالذي يقلع عن المعصية ولا يقرأ القرآن أفضل من الذي يقترف المعاصي ويقرأ القرآن ..

ولا يستقيم أبداً لمن أراد أن ينصر الأمة أن يظل على معصيته، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي جنده المقاتلين في سبيل الله بقوله: "لا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله" .. وأشد المعاصي خطورة ما كنت مواظباً عليه، فهذه علامة على فساد النفس، فأسرع بإصلاح فساد النفس، وإلا مرت الأعوام والأعوام، والحال هو الحال أو أسوأ، والطريق هو الطريق أو أضل ..

ثم احرص على ألا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، وأكثر من الدعاء قدر ما تستطيع أن يغفر الله لك الذنوب، ويستر لك العيوب، وهو قريب . سبحانه وتعالى . من عباده، ولا شك أنه سيستجيب، وعلامة ذلك أنك تجد في روحك خفة للعمل الصالح، وإقبالاً على الطاعة، ورغبة في أداء الخير، وخوفاً من عاقبة المعاصي السابقة، ورجعة عند سماع التذكير من قرآن وحديث وعلوم ..

فإن وجدت في نفسك ذلك فاحمد الله حمداً كثيراً فقد استيقظ قلبك، وسارع بالعمل كي تحافظ على هذه النقاوة والبهاء، وإذا لم تجد ذلك في نفسك ففتش عن معصية ظاهرة أو خفية ما زلت مصراً عليها وأنت لا تدري

واحذر من الذنوب الصغائر، فإنها تتسلل إلى القلب تسلاً، ثم تتكاثر عليه حتى تكون كالجبل، وتذكر أنه ليس هناك كبيرة مع استغفار، كما أنه ليس هناك صغيرة مع إصرار..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَّادٍ فَجَاءَ ذَا بُعُودٍ وَجَاءَ ذَا بُعُودٍ حَتَّى أَنْصَجُوا خُبَرَ تَنَّهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهَا"

النصيحة الثانية: اعرف دينك

فكيف يمكن أن ترتبط بدين لا تعرفه؟ وكيف يمكن أن تتمسك بسنة أو منهج أو طريقة أن تجهلها؟
وعلم الإسلام لا تنتهي، وإبداعات العلماء فيها لا تكاد تحصى، وتحتاج إلى أن تتعرف على من يأخذ بيدك إلى علوم المعرفة الإسلامية خطوة خطوة، لكي لا تتوه في طرق متشعبة..

ولتبدأ رحلتك مع القرآن وتفسير مبسط له، وكذلك الحديث النبوي الشريف وتفسير مبسط له كذلك.. فهما الأساس الذي يبنى عليه الدين كله..

ثم خض بعد ذلك في سائر العلوم الإسلامية، ولكن بتدرج ودون إسراف، فإن الدين متين فأوغل فيه برفق.. فلتجعل لك . بمساعدة أحد العلماء . جدولاً واضحاً للدراسة، يشمل عقيدة وأخلاقاً وفقهاً وسيرة ومعاملات، وغير ذلك من الفروع الهامة..

واهتم اهتماماً خاصاً بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي التطبيق العملي الواضح للقرآن الكريم، وهي النموذج الجلي لكل صغيرة وكبيرة في الدين..

وأيضاً اهتم بدراسة سير الصحابة رضي الله عنهم فهم الذين حملوا إلينا الدين وطبقوه خير تطبيق، وهم الذين اختارهم رب العالمين لصحبة نبيه، ولحمل الرسالة من بعده..

ثم انطلق بعد ذلك في دراسة التاريخ الإسلامي، مع الحرص على أخذه من مصادر غير مشوهة أو مزورة، ولن تفلح في ذلك إلا بالاستعانة بمن له قدم راسخة في دراسة التاريخ، لأن ما زور منه أكثر بكثير مما حفظ لنا سليماً من التزوير !

وهكذا تجد أيها الشاب أنك تحتاج إلى أوقات هائلة، وأعمار مديدة لتحقيق هذا الجانب في حياتك، ولذلك لا معنى مطلقاً لأن تضع من عمرك بضعة دقائق . فضلاً عن الساعات والأيام . أمام شاشات التلفزيون، أو في صالات البلياردو، أو في المشي في الطرقات والشوارع بلا هدف، أو في الجلوس على المقاهي والكافيتريات..

تستطيع في كل دقيقة أن تحصل علماً مفيداً، فاحرص على وقتك، وتقدم في طريق العلم بأقصى طاقاتك.. واعلم أن طريق العلم هذا هو طريق من طرق الجنة..

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"

النصيحة الثالثة: ارتبط بالمسجد

والمسجد جزء رئيسي جداً في تكوين الشاب المسلم.. وصلاة الجماعة ليست لمجرد تكثير الحسنات.. بل إن الله عز وجل كثر من حسنات صلاة الجماعة ليدفعك دفعاً إلى المسجد..

فالمسجد حماية للفرد والمجتمع، والذي يرتبط بالمسجد يحافظ على مستوى ثابت في الإيمان والتقوى.. لذلك يقول الله عز وجل: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر"، فالمداوم على صلاة المسجد وعلى إعمار المسجد مؤمن بالله واليوم الآخر، ثم هو يعاون إخوانه على الإيمان.. فإذا فتر لحظة أو فتروا هم كان بعضهم عوناً للآخر.. وفوق ذلك فتركيز المسلم وخشوعه في صلاة المسجد يكون أعلى بكثير من البيت، ومن ثم فالأجر أعلى، والفائدة المتحققة من الصلاة أكبر.. وهكذا ففوائد صلاة المسجد لا يمكن حصرها..

فإذا أضفت إلى ذلك حضور مجالس العلم - إن وجدت - وحضور حلقات تحفيظ القرآن، وحضور الكلمات الخفيفة التي تقال بعد بعض الصلوات، فإن هذا يجعل لك تواجداً ثابتاً، وارتباطاً عاطفياً وقلبياً بالمسجد.. وكل هذا يصب في النهاية في بناءك كفرد مسلم صالح..

ولذلك فإن الله عز وجل يكافئ الذي يحافظ على صلاة الجماعة بمكافآت كريمة عظيمة مع أنه يصلي في المسجد نفس الصلاة التي يصليها في البيت، وبنفس الكيفية ولكن في جماعة..

روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"

وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ".

النصيحة الرابعة: كن متفوقاً

يعتقد كثير من الشباب أنني إذا طلبت منه أن يكون ملتزماً بالدين، مستمسكاً بالإسلام، فإن هذا معناه أن يعتكف في المسجد، ويداوم على قراءة القرآن والذكر والصلاة، ثم هو يهمل دروسه، ويجعلها في آخر أولوياته ظناً منه أن طريق الجنة هو طريق العلم الشرعي وكفى !!

وهذا . ولا شك . وهم كبير، وخطأ ظاهر! ..

التفوق في مجال الدراسة جزء لا يتجزأ من الإسلام ..

والدول في العالم تنقسم إلى دول متقدمة ودول متخلفة (أو نامية!) بحكم ارتباطها بالعلم والاختراع .. وليس من المعقول أن الأمة التي يُفتح دستورها بكلمة "اقرأ" هي أمة متخلفة علمياً ..

كثيراً ما يؤثر في نفسي سلباً أن أرى شاباً ملتزماً بالدين، قارئاً للقرآن، مصلياً في خشوع، داعياً إلى الله، ثم هو فاشل في دراسته، بالكاد ينجح أو قد يرسب، وهو في ذيل القائمة، بينما يتصدر قائمة الطلاب علمانيون أو منحرفون أو نصارى! ..

أهذا فقه للدين !؟

أهذا فهم للإسلام !؟

الإسلام على عكس ذلك تماماً .. الإسلام دين يدعو إلى التفوق في كل تخصص، والإلتقان في كل عمل.

فإذا أردت - أخي الشاب وأختي الشابة - أن تقوموا بإصلاح حال الأمة ورفع شأنها، فلا بد من الاهتمام بالدراسة والتفوق اهتماماً يفوق اهتمام الآخرين، وليعلم جميع الشباب أننا لا نريد مجرد أطباء أو مهندسين أو مدرسين أو كيميائيين.. إنما نريد الطبيب العالم، والمهندس المخترع، والمدرس النابغة، والكيميائي الفذ.. وهكذا..

واعلم يقيناً إنك إن حرصت على رفعة أمتك عن طريق تفوقك في دراستك فإن هذه حسنات لا تخصي في ميزانك..

ونسأل الله لشباب المسلمين دوام التفوق والامتياز..

النصيحة الخامسة: صل رحمك

والحق أن الأسر المسلمة تعيش أزمة خطيرة في العقود الأخيرة من عمر الأمة، وهي أزمة تفكك الأسر الكبيرة إلى أسر صغيرة.. وتقطع أوصال كل أسرة إلى عشرات - بل ومئات - الأجزاء..

قد تمر الشهور والسنوات دون أن يسأل أخ عن إخوانه، أو يسأل عم عن أولاد أخيه، أو شاب عن خاله أو عمه أو أولاد خاله أو أولاد عمه وهكذا..

هذا التقطيع لأوصال الأمة ينذر بكارث عدة..

المجتمع المهلهل المهش لا يصمد في الأزمات الخطيرة.. سواء الأزمات التي تعصف بالأمة ككل، أو الأزمات التي تعصف بالأفراد كل على حدة، وأول من يجب أن يقف إلى جوار أصحاب الأزمات هم الذين يرتبطون بهم ارتباطاً فطرياً برياط الدم والنسب.. فإن وصل الحال إلى أن هذا الرباط مقطوع، فلا شك أن غيره من أنواع الاتصال أيضاً مقطوع، فستجد الجار يقطع جاره، والصديق في العمل يقطع صديقه، والمسلم في بلد يقطع أخاه في البلد المجاور.. وهكذا..

لذلك يعظم ربنا سبحانه وتعالى جداً من صلة الرحم، ويربطها بصلته هو سبحانه..

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

"إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ، قَالَتْ: بَلَى، قَالَ، فَذَلِكَ لَكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: افْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"

وإذا كان الكبار قد ألفوا الفرقة، والقطيعية من الأرحام، فدور الشباب الصادق أن يبدأ دورة جديدة من الاتصال، فيحرص كل شاب على ربط أسرته وصلتها وإصلاح المشاكل التي بين الأفراد قدر المستطاع، فتتماسك الأسرة الكبيرة، وبالتالي يتماسك المجتمع بأسره..

وكلمة هامة جداً في أذن الشباب..

مهما كبرت فإنه لا يجوز لك أن تكبر على أبويك !!

بعض الشباب يرى نفسه قد كبر في الحجم، وتقدم في الدراسة، فيعتقد أنه أصبح نداً لأبيه وأمه!.. وما أدرك أنه من المستحيل أن يكون نداً لمن ولدته ومن رباها..

وليس المجال يسمح بذكر فوائد بر الوالدين، لكن يكفي هنا أن نذكر أن الله عز وجل ربط طاعة الوالدين بعبادته هو سبحانه وتعالى، ثم أمر بعدم مخالفتها ولا إغضابهما ولو بكلمة واحدة حتى إن كانا كافرين، إلا أن يأمر بالشرك بالله، فهنا لا تجب الطاعة، ولكن يجب مع ذلك البر بهما، والإحسان إليهما!

يقول تعالى: "وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ، وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ، أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"

وقد ربط رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الجنة برضا الوالدين في أكثر من حديث، منها على سبيل المثال ما رواه الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ".

النصيحة السادسة: اختر أصحابك

مهما تقدمت في طريق الإيمان فإن صحبة السوء تعيدك إلى نقطة البداية أو أسفل منها.. ولا تقل
إنني أحافظ على نفسي، ولا أصاب بعدواهم.. فإن أخلاق المرء ودينه وطبعه يكون كأخلاق ودين وطبع
من يصاحب..

ذكر هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وأبو داود وأحمد عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ
مَنْ يُخَالِلُ"

فإذا أردت طريقاً واضحاً للجنة فعليك بالصحبة الصالحة..

روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"مَنْ أَرَادَ مُجْبُوحةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ"

وإذا أردت انتصاراً على الشيطان، فلا يصلح أن تحاربه بمفردك!..

روى أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ"

أمر حتمي لمن أراد رفعة الأمة أن يندمج في صحبة صالحة.. صحبة تذكرك بالخير في كل لحظة..
إذا فاتك ميعاد صلاة ذكرك، وإذا سهوت عن وردك القرآني نبهوك، وإذا أردت معاونة على مذاكرة
وتحصيل دروس ساعدوك، وإذا كنت في أزمة وقفوا معك.. نهجهم الإسلام، ودليلهم القرآن.. طابعهم
الرحمة والرفق والحلم والأناة.. تفكيرهم عميق، وأسلوبهم رقيق.. يهتمون بأمر المسلمين، ويقضون حوائج
الناس، ويدعون إلى الله على بصيرة.. يبرون والديهم، ويصلون رحمهم ويرحمون صغيرهم، ويوقرون كبيرهم،
ويتقنون أعمالهم، ويتفوقون في دراستهم..

هؤلاء الذين ينجو المرء بصحبته، ويفلح برفقتهم..

أتحسبهم في عالم الخيال والأحلام؟! كلا والله!!

إنهم موجودون.. والخير في أمة الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة.. ولكن الشاب الذي غرق في صحبة السوء طمس على عينه، فما عاد يرى إلا كل قبيح، ولو رفع غشاوة صحبة السوء لرأى أهل الصلاح والفلاح.. ولنجا ونجوا معه..

وأسأل الله عز وجل أن يربط على قلوب المسلمين ويوحد صفهم.

النصيحة السابعة: اعرف واقعك

بعض الشباب الذي التزم بدين الإسلام ينشغل بالعلوم الشرعية وبالعلوم الدراسية عن متابعة واقعه، فيعيش في جزيرة منعزلة في وسط بحر هائج متلاطم الأمواج.. ويستحيل - يا شباب الأمة - أن تغيروا من حال الأمة إلا إذا كنتم على دراية وافية بالواقع الذي تعيشون فيه.. ولا أقصد بالواقع هو حال المدرسة أو الجامعة التي تدرس فيها فقط، ولا حال الدولة التي تعيش بداخلها فقط.. بل أقصد حال الواقع الإسلامي بكامله، بل حال العالم بأسره..

لا يستقيم لإنسان يهدف إلى التغيير أن يهمل معرفة المتغيرات التي تمر بأمته، والظروف البيئية في المجتمعات المحيطة بها.. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربط المسلمين بالأحداث الجارية في الأرض حتى في زمان الاستضعاف.. فكان يحدثهم عن كسرى وعن قيصر، وعن دولة فارس ومداينها وطريقة حكمها، وعن دولة الرومان وقصورها ومنهج القياصرة هناك، ويحدثهم عن اليمن، ويحدثهم عن الحبشة، ويحدثهم عن مصر، ويحدثهم عن البحرين.. وهكذا.. ينظر المسلم نظرة شمولية للأرض من حوله فيعرف موقعه وموقع الآخرين، ويعرف متطلبات المرحلة التي يعيش فيها..

وعلى هذا فإنه يجب على الشاب الواعي الفاهم الناضج أن يتابع أخبار الدنيا من حوله بصفة دورية ومنتظمة، فيقرأ الجرائد المتنوعة، ويطلع على أمور السياسة والاقتصاد والإجتماع، والمتغيرات الأساسية في الزمن الذي يعيش فيه، ويتابع قنوات الأخبار العالمية، ويعرف الرأي والرأي الآخر، ويناقش ويحلل ويسأل ويستنتج.. وبهذا يصبح الشاب ملماً بواقع حياته، كما أصبح ملماً بواقع دينه..

وهذه الشخصية المتكاملة هي الشخصية التي تبني على أكتافها الأمم.

النصيحة الثامنة: كن رياضياً

من أهم صفات الشاب قوة الجسد، وسلامة الصحة، ومتانة البنيان، والأمة تحتاج إلى الجسد السليم كما تحتاج إلى العقل السليم تماماً بتمام..

والجهاد لا يكون إلا بجسد قوى، وضربة معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنهما لا تأتي إلا من ذراع رياضي..

ولكن عليك أخي الشاب بالرياضة المفيدة، وهي الرياضة التي تعود عليك وعلى أمتك بالنفع والتقدم.. وذلك مثل السباحة والرمية وألعاب الدفاع عن النفس بأنواعها وألعاب القوى ورفع الأثقال والفروسية وغير ذلك من الألعاب المفيدة للجسم وللعقل وللمجتمع..

ويا ليت الشباب يتخصصون في رياضة معينة لكي يظهر فيها الإبداع.. وما أجمل أن تصل إلى مستوى متفوق في رياضتك بدلاً من إنفاق كل شهر في لعبة مختلفة..

ثم عليك بتقليل الكم الذي تقرأه عن الرياضة، وكذلك تقليل كم المباريات التي تشاهدها.. فنحن للأسف نحترف القراءة والمشاهدة للرياضة ولكن لا نمارس!.. وهذا قصور شديد.. فبينما تكون الرياضة مفيدة جداً في ممارستها، تصبح غير مفيدة - بل مضرّة جداً - إذا أنفقت فيها وقتاً طويلاً لمتابعة التحليل الكروي لخطة فريق كذا أو كذا، أو لمتابعة أسعار اللاعبين والمفاوضات حول فلان أو علان، أو نتائج الدوري في أسبانيا أو إيطاليا، أو غير ذلك من الأمور التافهة التي لا ينبغي عليها كثير عمل، ولا حتى قليل عمل!!

وتذكر أن الرياضة وسيلة وليست غاية، ولذلك لا تنفق فيها وقتاً كبيراً جداً، فإن يومك فيه الكثير من الأعمال الأخرى الهامة، والتي تحتاج منك إلى وقت وفكر ومجهود.

النصيحة التاسعة: ادع غيرك

إذا أحسست بحلاوة هذا الدين، ومتعة الالتزام به، ولذة الطاعة لرب العالمين، وإذا شعرت بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق الشباب لإصلاح حال الأمة الإسلامية، بل لهداية الأرض بكاملها، وإذا شعرت بمدى المأساة التي ما زال يعيشها آخرون يبعدهم عن دين الله، وبهجرتهم لكتاب الله..

إذا شعرت بكل ذلك فلا تنس أصحابك الذين كانوا معك قبل أن تشرف بسلوك هذا الطريق، فادعهم إلى ما أنت عليه..

وراجع معارفك وأحبابك..

إن لك أصحاباً في المدرسة أو الجامعة أو العمل، ولك أصحاباً في السكن، ولك أصحاباً في النادي، ولك أصحاباً في الشارع، ولك أصحاباً على الإنترنت، ولك أصحاباً سافروا، ولك أصحاب مكثوا في بلدك، ولك أصحاب تخرجوا من كليتك وذهب كل منهم إلى مكان..

راجع كل هؤلاء وابدأ في دعوتهم إلى الخير الذي أنت عليه..

قل كلمة طيبة.. اهدهم شريطاً إسلامياً أو كتيباً، أرسل إليهم بريداً إلكترونياً.. تحدث معهم تليفونياً.. أصحبهم إلى دروس علم.. دهم على برنامج ديني طيب.. اشترك لهم في دورية صحيفة إسلامية..

افعل شيئاً.. أي شيء.. فهذا حق الأخوة وحق الصداقة وحق الإسلام..

ادعهم إلى الحياة الجادة التي عرفتها..

وتخيل أنك تحصل من الأجر على كل عمل خير يعملونه مثلما يحصلون هم تماماً!!.. لأنك أنت الذي أرشدتهم لهذا الخير..

روى أحمد عن بُرَيْدَةَ بن الحَصِيب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ". ولذلك يقول الله تعالى: "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله، وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين".

النصيحة العاشرة: نظم وقتك

واعلم أنها نصيحة . وإن كانت في ظاهرها بسيطة . لكنها صعبة، وكثير من الشباب يعاني من هذه المشكلة تماماً.. ويشعر أن اليوم لا يكفي لشيء.. بينما الله عز وجل قد أعطاك وقتاً يكفي لكل ما طلب منك بشرط أن يُنظم..

لابد أن تضع خطة محكمة لتنفيذ كل هذا الخير الذي تحدثنا عنه وغيره إن شاء الله، فللمسجد وقت، وللمذاكرة وقت، وللقرأة في الدين وقت، وللقرأة الحرة وقت، ولصلة الرحم وقت، وللترفيه الحلال وقت.. وهكذا..

ولابد أن تعرف ماذا تريد أن تفعل في كل يوم، وماذا تريد أن تفعل غداً، وماذا تريد أن تفعل في الأيام والشهور والسنوات القادمة..

حدد الهدف، ورتب الأولويات، وضع برنامجاً زمنياً، وابدأ في التنفيذ دون تسويف..

واجعل هناك أوقاتاً للتقييم والمتابعة، وعدل في جدولك ونظامك حسب الحاجة..

واستشر من سبقوك في طريق الحياة الجادة من متخصصين في الدعوة وفي العمل وفي مجال التخصص العملي وغير ذلك.. وابدأ من حيث انتهى الآخرون، ولا تستحي أن تسأل، فإن شفاء العي السؤال..

ولا تحبطن إذا فشل جدول أعمالك، ونظام وقتك.. فلا بد لكل إنسان أن ينجح مرة ويفشل مرة، ولكن استفد من أخطائك، وابدأ من جديد، والله معكم، ولن يترككم أعمالكم..

وتذكر أن رأس مالك الحقيقي في هذه الحياة هو عمرك، ويوشك إذا ذهب بعض عمرك أن يذهب الكل، فكن على حذر، فالذي يذهب لا يعود إلى يوم القيامة..

واستعن بالله ولا تعجز.. وتذكر أنك طرقت باب الرحمن ليساعدك فلن يخذلك أبداً، بل سيفتح لك أبواب الخير والرحمة، ويدلك على سبل السلام، ويهديك إلى الرشاد والفلاح..

"والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين" ..

كلمة أخيرة

أنا على يقين أن كثيراً من الشيوخ كانوا يريدون سماع هذه الكلمات والنصائح في أيام شبابه ليعملوا بها، ولكن فات الوقت، ومر شباهم، أما أنت فقد سمعته الآن، فاعمل به قبل أن يأتي يوم تتمنى فيه رجعة الأيام.. ومحال أن تعود الأيام..

لقد أعطاك الله عز وجل نعماً كثيرة لم تعط لغيرك.. فقد أعطاك قوة في جسدك، ونضوجاً في عقلك، وحماسة في عزيمتك، ورقة في قلبك، وجمالاً في صورتك..
لقد هياك الله لتغير الحال الذي حولك من سيئ إلى حسن، ومن خبيث إلى طيب، ومن ضعيف إلى قوي..

هياك الله لذلك فلا تتغير أنت بمن حولك، وتدعي أن الظروف التي حولك صعبة، أو أن البيئة معوقة..

لقد خلقك الله عز وجل لتغير البيئة لا لتتغير بها..
خلقك لتعديل مناهج الأرض بمنهجك، لا ليعدل الآخرون من مسارك..
خلقك الله لرحمة الأرض، ولخير الأرض، ولصلاح الأرض، ولإعمار الأرض..
فلا تنشغل بسفاسف الأمور، وتوافه الأحداث..
وكن علماً مرفوعاً دائماً في عزة.. يهتدي به الحيارى، ويجد به التائهون في الحياة طريق النجاة..
وإذا حزبك أمر، أو شعرت بالضعف وقلة الحيلة، فإن حسبك الله، هو الذي أيدك بنصره
والمؤمنين.. فعليك بالالتزام بنهج الله، وبصحبة المؤمنين..

سر على بركة الله وعينك على الجنة.. وإذا هداك الله إلى الطريق فلا تنساني من دعوة بالغيب في جوف الليل، لعل الله أن يرحمني بها..
فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

=====

لا تنسوننا من دعائكم... أحتكم أم عبد الهادي